فرائح الصغار وسنّ الاشتهار

مَن انعمَ نظرهُ في احوال البشر وشؤونهم المختلفة وبحث عن اسباب تقدّمهم وتأخّرهم رأى ان الفلاح معقود بناصية الاجتهاد وان الذين فاقوا اقرانهم وسادوا وشادوا كانوا من الذين يكثرون السعي ويستخفون التعب ويستهينون بالراحة ويتهزون فرص الزمان. ولكنّ ذلك لا ينافي وجود الفرائح وقيام النوابغ الذين دانت لهم الصعاب قبل ان يجشموا المشقة في تذليلها لانكَ اذا دخلتَ نوادي العلم والفلسفة والصناعات رأيت بين ارجائها اناسًا كثيرين ميّزتهم الطبيعة بالذكاء من صغر سنهم فبرعوا صغارًا في مطالب لا يبرع فيها الكبار الاّ بشق الانفس. واكثر ما كان ذلك في التصوير والشعر والانشاء واما المطالب السامية — مطالب العلم والفلسفة — فقلما اشتهر فيها احد شهرة فائقة الاّ بعد ان فات سن الشباب وادرك سن الكهولة. وسنذكر بعض الذين افلحوا في المطالب المشار اليها شرقًا وغربًا ثم ننظر في ذلك نظرًا استقرائيًا لعلنا نأتي بحث كافٍ للقضية المتقدمة فنقول

المطلب الاول الشعر * الشعر مطلب عسر ومركب خشن ولكنهُ كثيرًا ما يكون بالفطرة فيأتي الفتى الصغير بما يطأطئ له الكهل رأسهُ. قالوا ان طرفة ابن العبد وهو من اكبر شعراء الجاهلية بلغ في حداثة سنهِ ما بلغ القوم مع طول اعمارهم ومات ابوهُ وهو صغير فابى اعمامهُ ان يقسموا ماله فقال يتهددهم

قد يبعثُ الامرَ العظيمَ صغيرُهُ ... حتّى تظلّ له الدماء تُصبَّبُ
والظلمُ فرّقَ بين حيّيْ وائلٍ ... بكرٌ تسافيها المنيةَ تغلبُ

وهو كلام امرئ خبير باحوال ابناء زمانهِ عارف بايامهم ومواقعهم ونفثاتُ نفسٍ ابيّة لا تقيم على الضيم فاضت بها بجودة قريحتها وطيب سليقتها . وابو العلاء المعري الشاعر المشهور قال الشعر وهو في الثانية عشرة ولا ندري ما كان اول انشادهِ ولكن شعرهُ المجموع ما فيهِ غث ولا ضئيل فالارجح ان قريحتهُ ظهرت في اول ابياتٍ قالها وجوهر نفسهِ لاح بريقهُ في باكورة اشعارهِ. والمتنبي فيلسوف شعراء العرب ولغويّهم قال الشعر النفيس وهو فتى صغير السن اذا صحّت الرواية التالية . فقد قيل ان واحدًا وضع يدهُ على رأسهِ وهو في الكُتّاب وقال لهُ ما احسن هذه الوفرة (وهي الشعر المجتمع على الراس) فقال المتنبي

لا تحسنُ الوفرةُ حتى تُرَى ... منثورةَ الضفرين يومَ القتالْ
على فتى معتنقٍ صعدةً ... يُعِلُّها من كلِّ وافي السبالْ

والصحة قناة الريح المستقيمة ويسقيها والسبال شعر الشاربين . وفي هذا الكلام من البلاغة والتنوع الى غريب اللغة ما يلقي الريب في ان المتنبي قاله قبل ان صحب الاعراب في البادية وجاء بدويًا فحًا . ولا ريب ان كثيرين من شعراء العرب قالوا الشعر قبل ان احتطبوا وبراعوا فيه قبل ان اكتهلوا

هذا من قبيل شعراء العرب واما شعراء الافرنج فالذين نبغوا منهم صغارًا كثيرون فان تسو الشاعر الايطالي نظم شعرًا اشتهر به وهو في السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمره . وكلدرون الشاعر الاسباني نظم اوّل رواية شعرية في الرابعة عشرة من عمره . وغوتي الشاعر الجرماني نظم المحاورات الشعرية وهو بين السادسة والثامنة من عمره . ومُسّي الشاعر الفرنسوي نظم القصائد النفيسة وهو في الرابعة عشرة . وفكتور هوغو نظم نظمًا رائقًا وهو فتى في المدرسة وما بلغ السابعة عشرة حتى ابدع في النظم واجاد وملك ناصيتي النظم والنثر في الخامسة والعشرين . وكولي الشاعر الانكليزي نظم رواية شعرية وهو في العاشرة من عمره . واشتهر بالنظم وهو في الخامسة عشرة . وبوب وهو من كبار شعراء الانكليز ايضًا نظم القصائد النفيسة وهو في الثانية عشرة . وبيرون وهو من اشهر شعرائهم نظم الشعر البليغ قبلما ناهز الخامسة عشرة وملك ناصية النظم وهو في الحادية والعشرين . واليصابات برونن شرعت تنظم الشعر وهي في الثامنة من عمرها ونظمت شعرًا نفيسًا وهي في الحادية عشرة . ومسز همنس طبعت ديوانها وهي في الرابعة عشرة من عمرها . وكثيرون غير هؤلاء نظموا درر المعاني في سلك القريض وهم في عنفوان الصبا وريعان الشباب

المطلب الثاني الغناء * ونسبة الغناء الى الشعر نسبة الشعر الى النثر وهو شائع في الدنيا كلها فلا امّة ولا قبيلة الاّ ولها نوعٌ من الغناء والانغام ولكن العرب لم يتفنوا الغناء من انفسهم كما اتقنوا الشعر ولا وضعوا له قواعد وقوانين كما وضعوا للقريض بل تناولوا قواعدهُ عن الفرس واليونان . ولم نعثر على تاريخ مفصّل للمغنين المشهورين يبيّن مَن اشتهر منهم بالغناء وهو صغير السن . ولم تزل صناعة الغناء غير مكرّمة عندنا مع ان المتقدمين والمتأخرين من كل الشعوب قرنوها بالعبادة وكرموا بها الخالق والمخلوق . اما الافرنج فلها عندهم مقام رفيع والمغنون المشهورون بينهم يُشار اليهم بالبنان وتعقد لهم الخناصر كما كان المغنون في ايام الخلفاء الاولين . رُوي ان فردريك الكبير ملك بروسيا دعا الموسيقي باخ الشهير الى قصره ليسمع غناءهُ فاعتذر اليه باخ بكبر سنه فما زال الملك يلحّ عليه حتى اجبرهُ على المجيء اليه فاحتفل به وانزله في بلاطه ودعا كثيرين من اهل بيته وخواصه ليسمعوهُ ولما سمعهُ تهيجت عواطفهُ تهيجًا شديدًا حتى انهُ وقف امامهُ وجعل يتوسّل اليه ان يقيم عندهُ وله مهما طلب فاصرّ باخ على الرجوع الى بلاده ليقضي فيها غابر حياته ويُدفن في تربة

آبائه . ولما رأى الملك اصرارهُ على ذلك لم يسعهُ اجبارهُ على القيام عندهُ مع ما اشتهر عنهُ من العظمة والعتو لان ألحان باخ ألانت قلبهُ فوصلهُ بصلة سنيَّة وخلَّى سبيلهُ

ويظهر من استقراء تاريخ المغنين ان اكثرهم مالوا الى الموسيقى صغاراً وبرعوا فيها وهم في سن الشباب . فان موزارت الجرماني شرع في تعلمها وهو طفل وكان يضرب انغام الرقص وهو في السنة الرابعة من عمره . ولما بلغ الخامسة عزف امام الجمهور والَّف الالحان المسماة عندهم بالكسرتو . ومندلسون وهو جرماني ايضاً عزف امام الجمهور وهو في التاسعة من عمره ونظم قدوداً تسمَّى عندهم بالكنتاتا وهو في الحادية عشرة . وبيتوفن كبير الموسيقيين كلهم شرع في درس الموسيقى وهو في الرابعة ولما بلغ التاسعة فاق اباهُ فيها ونظم الكنتاتا وهو في العاشرة . ومبرير كان يعزف على البيانو وهو في الخامسة وعزف امام الجمهور وهو في التاسعة . وما قيل عن هؤلاء يقال عن كثيرين غيرهم ممن يمنعنا ضيق المقام عن استيفاء اسمائهم

المطلب الثالث التصوير والنقش * والتصوير والنقش عند الافرنج صنوان للشعر والغناء ونعني هذه الصناعات عندهم بالصناعات البديعة . والمصورون والنقاشون كالشعراء والادباء تكون المخيلة فيهم قويةً واليدُ مطيعةً . وتأثير الصور الجميلة في النفوس قد يزيد على تأثير الاشعار البليغة والالحان الشجيَّة . واكثر الامم المشهورة تعلقت على التصوير والنقش الاَّ الامَّة العربيَّة نعم ان آثار اليمن فيها صور ونقوش كثيرة ولكنها عربة من الجمال المعهود في غيرها من صوَر المصريين والاشوريين والبابليين واليونانيين والرومانيين . وآثار العرب بعد الاسلام لا تخلو من النقوش الجميلة ولكن ليس فيها صورة انسان تستحق ان تقابل بصور اليونان . وقد قلَّبنا ترجمات مئات من اعلام العرب فلم نرَ فيها ذكر مصور ولا ذكر نقَّاش . اما الافرنج فالمصورون والنقاشون الذين نبغوا بينهم كثار جدًّا وكل ما وقع عليهِ قلمهم او ازميلهم من المنسوجات القطنيَّة الى دُمى الجبسين والشمع التي يلعب بها صغارنا شاهد على اتقانهم لفنَّي التصوير والنقش . وكثيرون من مصوريهم ونقَّاشيهم ظهرت قرائحهم وهم صغار السن فان سارتو المصوِّر الفيورنسي انتظم في سلك المصورين وهو في السابعة من عمره . ورفائيل المشهور كان مصوراً من المهد ولم يبلغ السابعة عشرة حتى اتقن التصوير . وهُلبين الجرماني صور الصور المتقنة وهو في الثامنة عشرة . وريسدال الهولندي وكرنيليوس الجرماني صورا صوراً بديعة وهما في الثانية عشرة من عمرها . ومورلند الانكليزي رسم رسوماً بديعة وهو بين الرابعة والخامسة من عمره . والسر توما لورنس اتقن التصوير وهو طفل ولما بلغ العاشرة كان يصوِّر الامراء والمطارنة ويكسب بذلك الاموال الطائلة

المطلب الرابع العلم والفلسفة * تقدَّم ان مطالب العلم والفلسفة لا يبرع فيها الانسان الاَّ بعد

أن يفوت سن الشباب اي بعد ان يتكامل نموّ دماغه وتتسع دائرة اختباره ولكن كثيرين من العلماء والفلاسفة نضجت ثمرات اذهانهم وهم في عنفوان الشباب ودلّت باكورة اعمالهم على سمو مداركهم وبُعد مطالبهم فابن خلدون قرأ علوم الادب وتولى المهام السلطانية الرفيعة وهو في الحادية والعشرين من عمره . وابن سينا قال انه اتى على القرآن الشريف وكثير من الادب لما كملت له عشر من العمر وقرأ مبادئ المنطق والهندسة والفلك والطب وانفتح عليه من ابواب المعالجة المقتبسة ما لا يوصف وهو ابن ست عشرة سنة . واغرب من ذلك ان ماكولي المؤرخ الانكليزي ألّف مختصرًا في التاريخ العمومي قبلما بلغ الثامنة وشرول تعلّم اللاتينية وهو ابن ثلاث سنوات وكان يقرأ اليونانية جيدًا وهو في الرابعة وشرع في التأليف وهو في السابعة وكتب رسائل كثيرة باللاتينية وهو في الثانية عشرة . وغليليو الفيلسوف الايطالي درس العلوم الرياضيّة واكتشف اشياء كثيرة قبلما بلغ التاسعة عشرة ونيوتن براهي كان يرصد الافلاك وهو في السادسة عشرة . وبين الفيلسوف الانكليزي كان يقرأ جيدًا وهو ابن سنتين . وكلارك مكسول الاسكتلندي برع في العلوم الرياضية واكتشف طرقًا جديدة لرسم الشكل البيضوي وغيره من المخبات وهو في الرابعة عشرة من عمره . وليبنوس الباني الاسوجي انفن فن النبات وصار مدرّسًا له وهو في الثالثة والعشرين من عمره . وبسكال الفرنساوي ألّف كتابًا في القطوع المخروطية وهو ابن سبع عشرة سنة . ولابلاس صار استاذًا للرياضيات في المدرسة الحربية بفرنسا وله من العمر تسع عشرة سنة . ولاكرانج صار استاذًا وهو في الثامنة عشرة . وايلرد ادهش اوربا بفلسفته وهو ابن عشرين سنة . وهيوم الفيلسوف الانكليزي انشأ مقالة في الطبيعة البشرية وهو بين الثالثة والعشرين والسادسة والعشرين . وليبنتز الفيلسوف شرع في التأليف وهو في السابعة عشرة ونشر اول رسالة فلسفية من تصنيفه وهو في الثامنة والعشرين

وقد بحث العلّامة سُلي الانكليزي عن السن الذي نبغ فيه بعض من اشتهر في المطالب المذكورة آنفًا فوجد انه من سنين شاعرًا ٣٨ نظموا الشعر قبلما جاء عليهم عشرون حولاً و١٧ من الباقين نظموا الشعر قبلما بلغوا الثلاثين حولاً و٥ بعد الثلاثين . وانه من تسعة واربعين شاعرًا ٣٨ اشتهروا قبل الخامسة والعشرين من عمرهم و٧ بين الخامسة والعشرين والثلاثين و ٩ بين الثلاثين والاربعين وخمسة بعد ذلك . وعليه فاكثر هؤلاء الشعراء قالوا الشعر قبل الخامسة والعشرين واشتهروا به قبل الثلاثين

ومن اربعين موسيقيًّا ٣٨ ظهر ميلهم الى هذه الصناعة قبلما جاء عليهم عشرون حولاً واكثرهم ظهر ان لهم ذوقًا في هذه الصناعة قبل ذلك بكثير وانشأوا بعض الالحان وهم بين العاشرة

والعشرين . ومن ثلاثين موسيقيًّا ١٨ بلغوا الشهرة قبلما جاء عليهم ٣٥ سنةً واربعة وهم بين الخامسة والعشرين والثلاثين وثمانية بعد الثلاثين وعليهِ فاكثر الموسيقيين يميلون الى الموسيقى في حداثتهم وينظمون الالحان التي يشتهرون بها قبلما يتجاوزون سن الشباب

ومن ثمانية وخمسين مصورًا ونقاشًا ٤٣ ظهر ميلهم الى التصوير والنقش قبلما جاوزوا الخامسة عشرة من عمرهم و٩ منهم صوروا اول صورة متقنة قبلما جاوزوا الخامسة عشرة و١٦ وهم بين الخامسة عشرة والعشرين و١٥ وهم بين العشرين والخامسة والعشرين . و٢٥ من كل هؤلاء ثبتت لهم الشهرة قبلما جاوزوا الخامسة والعشرين و٩ وقتما بلغوا الثلاثين والبقية بُعَيد ذلك . ولم تتأخر شهرة مصور مشهور الى ما بعد السنة الاربعين من عمرهِ . وعليهِ فاكثر المصورين يظهر ميلهم الى التصوير في حداثتهم قبلما يأتي عليهم خمسة عشر عامًا واكثرهم يشتهرون قبلما يتجاوزون السنة الخامسة والعشرين او الثلاثين

ومن ستة وثلاثين من الذين اشتهروا في التاريخ والادب ٣٠ ظهر ميلهم الى ذلك في حداثتهم ولكن سبعة من كل هؤلاء أتوا شيئًا اشتهروا بهِ وهم دون الخامسة والعشرين و٩ وهم بين الخامسة والعشرين والثلاثين و١٦ وهم بين الثلاثين والاربعين والبقية بعد ذلك . وعليهِ فالميل الى التاريخ وفنون الادب يظهر في الحداثة ولكنَّ الشهرة بها لا تنال غالبًا الاَّ بين السنة الخامسة والعشرين والاربعين

ومن ست وثلاثين عالمًا ٢٧ ظهر ميلهم الى العلم وهم دون العشرين ولكن ١٤ فقط أتوا شيئًا اشتهروا بهِ قبلما بلغوا الخامسة والعشرين و١٢ وهم بين الخامسة والعشرين والثلاثين و٨ وهم بين الثلاثين والاربعين والبقية بعد ذلك . وعليهِ فالميل الى العلم يظهر باكرًا ولكن الشهرة تتأخر غالبًا الى ما بين الخامسة والعشرين والاربعين

ومن ٢٥ فيلسوفًا ٢٢ ظهر ميلهم الى الفلسفة قبلما بلغوا السنة العشرين وثلاثة منهم فقط صنفوا شيئًا اشتهروا بهِ قبلما بلغوا الخامسة والعشرين واربعة وهم بين الخامسة والعشرين والثلاثين و١٤ وهم بين الثلاثين والاربعين و٦ بين الاربعين والخمسين و٨ بعد الخمسين وعليهِ فالميل الى الفلسفة يظهر باكرًا ايضًا ولكن الاشتهار بها يكون اكثرهُ بين الثلاثين والاربعين وقد يتأخر الى ما بعد الخمسين والذين اشتهروا بعد ان جاوزوا الخمسين هم من اشهر الفلاسفة مثل ديكارت وهبس ولوك وليبنتز

هذا ما امكن الوصول اليهِ باستقراء قرائح الصغار وسن الاشتهار وقد ظهر من هذا الاستقراء ولو كان ناقصًا ان الشهرة في الشعر والموسيقى والتصوير ينالها الانسان وغصن صباهُ رطيب

وثوب شبابه قشيب ولكن الشهرة في العلم والفلسفة لا ينالها في الاكثر الاَّ بعد ان تتسع فكرته وتبدو اسرته وتحنكه التجارب وتحكمه المتاعب ولا بدَّ في الحالين من ميل يظهر في الصغار ويبقى معهم حتى تنضج ثمراته في مبتغاها . وهذه القاعدة اغلبيَّة كما لا يخفى

الطقس في سورية

انتقاد — (تابع ما قبله)

ان ثلاثة ارباع الامطار التي تقع في بيروت ونواحيها بل اربعة اخماسها تأتي بها رياح مهبُّها بين الجنوب والغرب وما بقي فتأتي به رياح أُخرى لا ضابط لها . واكثر الامطار يقع في انواء متعاقبة شبيهة بالانواء الاوريَّة او الاميركيَّة والقليل منها يقع لاسباب محليَّة او اسباب أُخرى غير قويَّة كنزول الامطار بعد الريح الشرقية الحارَّة مثلاً حوالي العيد الكبير عند النصارى . اما الانواء التي تاتي باكثر الامطار فالعادة ان تحدث على ما يأتي : يكون ضغط الهواء عظيمًا كما يظهر من ارتفاع البارومتر فيخفُّ شيئًا فشيئًا في بادىء الامر ويستدلُّ على ذلك من هبوط البارومتر هبوطًا تدريجيًّا وحينئذٍ إمَّا ان تهبَّ ريحٌ من الجنوب او من شرقيه وتكون في بدأة هبوبها خفيفة ثم تشتدُّ شيئًا فشيئًا بهبوط البارومتر . وإمَّا ان لا تهبَّ الريح المذكورة الاَّ بعد هبوط البارومتر كثيرًا فتثور بغتةً وتثير الرمال على جانب من مدينة بيروت والبحر الواقع شمالها حتى ربما اوصلتها الى السواحل المقابلة لبيروت الى شرقي الشمال يسيرًا . وتدوم هذه الريح بضع ساعات في الغالب وقد تدوم يومًا كاملاً ويندر ان تدوم اكثر من ذلك ثم يتحوَّل مهبُّها نحو الجنوب الغربي شيئًا فشيئًا حتى اذا صار في غرب الجنوب الغربي او في الجنوب الغربي بردت درجة حرارتها عمَّا كانت عليه وجاءت بالسحب والامطار . وقلَّما تهبُّ الريح بين تغيُّر مهبِّها من الجنوب الى الجنوب الغربي والاغلب ان يتحوَّل مهبُّها تدريجًا على ما تقدَّم . وواضح انه كلَّما اشتدَّت الريح الجنوبية المذكورة اقتضت اشتداد النوء لان اشتدادها يزيد بزيادة انخفاض البارومتر الاَّ في ما ندر . واشتداد النوء يكون باشتداد الرياح الجنوبية الغربية العاصفة فيه وما دام البارومتر واطئًا دام النوء شديدًا وكثرت الامطار على الغالب حتى يعود البارومتر الى الارتفاع فيتحول مهبُّ الريح شيئًا فشيئًا الى الغرب ويقل المطر او ينقطع . ومتى زاد ارتفاع البارومتر اكثر من ذلك تهبُّ الريح من الشمال الغربي او الشمال فتطرد الغيوم والامطار ويكون ذلك خاتمة النوء فتتحسن حال الطقس ويأتي الصحو ويزول المطر . وفي اكثر مدَّة الصحو في الاشهر الباردة تهبُّ ريح خفيفة ليلاً من الجنوب الشرقي او الشرق هي نسيم البر ثم تتحوَّل نهارًا نحو الشمال وتدوم كذلك اكثر النهار ثم تعود الى الشرق او